مقدمة

ليسوا سواء . . فأن تنشىء عملا ذا وحدة عضوية لدورانه حول موضوع بعينه في زمن بعينه شيء ، وأن تنشىء عملا متنوع الموضوعات موحد زمن البحث والانتاج شيء آخر ، وأن تنشر عملا متنوع الموضوعات ولكنه متباين أزمنة الإنتاج شيء ثالث . ذلك بأنك في هذه الحال الأخيرة تنظر إلى نفسك فى مرآة حياتك العقلية ، فترى وجهك فيها واضحاً لا زيف فيه ، فترضى عن بعض ملامحه أحياناً وتحمد الله إن هيأ لك القدرة على الوصول إلى الصواب . أو مالاتزال ترى أنه الصواب ، وقد تنكر بعضا آخر من ملامحه ، فتقول : إنه كان أولى بهذه الفكرة أن تكون كذا ، أو كان أولى بهذه العبارة أن تكون على نحو آخر . وفى كلتا الحالتين تجد في الرجوع إلى ماضيك الماثل أمامك بين السطور راحة وشوقا . أما الراحة فلما يبدو لك من أنك لم تضيع وقتك الماضى سدى ، وأما الشوق فإلى تلك اللحظات الفنية التي خلفتها وراءك ولم تعد تجد منها إلا كقبضك على الريح ، وإن كانت قد أسلمتك إلى لحظات أخرى لها ما يناسبها من لذة وعطاء .

وهذا العمل الذى بين أيدينا من النوع الأخير ، متنوع الموضوعات متباين أزمنة الإنتاج .

أما من حيث الموضوعات فقد إمتد إهتمام هذه البحوث والمقالات على مدى تعليم اللغة والنقد اللغوى وتقويم التراث اللغوى ، فهى بحوث تدور فى فلك اللغة وإن إختلفت منازلها وأبراجها ، وأما من حيث أزمنة الانتاج فقد إمتدت في فلك هذه البحوث منذ عينت عضوا بهيئة التدريس في كلية دار العلوم عام ١٩٥٢ إلى يومنا هذا من عام ١٩٨٥ م .

ليست هذه البحوث إختيارا مما كتبت في هذه الحقبة من الزمن ، وليست هى كل البحوث التى كتبت . كيف ذلك ؟ إننى لو أردت احصاء البحوث التى كتبتها على مدى ذلك الزمن ما إستطعت ؛ فهي والحمد لله كثيرة كثرة أظنها عظيمة ، تشهد على ذلك المجلات العلمية المختلفة في وطننا العربى من مشرقه إلى مغربه ، ولكنى امرؤ لايحسن تسجيل ماضيه ولايهتم لهذا التسجيل ولربما خططت المقال في نسخة وحيدة ثم دفعت بها

إلى النشر دون أن أحتفظ لنفسى بنسخة أخرى ثم يظهر المقال منشوراً فلا أعنى بإقتنائه مطبوعا ، فإذا مرت السنون لم أذكر المقال ولا المجلة التى نشرته ، ويتكرر منى هذا فيضيع علىّ جزء من انتاجى فأنساه ولربما انكرته إن ذكرنى بعض الناس به . هذا هو الذى قصدته حين قلت ان هذه البحوث ليست مختارات مما كتبت . فأنا لم انتقها إنتقاء لانها هى كل ما وجدته بين يدىّ حين نويت ان أقدم بعض بحوثى الماضية للنشر .

وعدة البحوث التى إشتمل عليها هذا الكتاب ستة عشر بحثا بيانها كما يلى :

أولاً : أربعة بحوث في تعليم اللغة ، وهى :

١ ــ جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير ابنائها (١٩٨١)
٢ ــ من مشكلات تعليم النحو العربى (١٩٨٢)
٣ ــ تعليم النحو بين النظرية والتطبيق (؟)
٤ ــ من مسائل النحــو (؟)

ثانياً : سبعة بحوث في علم اللغة ، بيانها كما يلى :

٥ ــ ضوابط التوارد (١٩٨٥)
٦ ــ ظاهرة الربط في التركيب والاسلوب العربى (١٩٨٢)
٧ ــ النحو العربى ومناهج التحليل (١٩٧٨)
٨ ــ وحدة البنية وتعدد النماذج (١٩٨٣)
٩ ــ من خصائص العربية (١٩٨٤)
١٠ ــ الخليقة والسليقة (١٩٥٩)
١١ ــ تشقيق المعنى (١٩٥٩)

ثالثاً : أربعة بحوث في النقد اللغوى :

١٢ ــ اللغة والنقد الادبى (١٩٨٣)
١٣ ــ موقف الأديب من اللغة (١٩٥٩)
١٤ ــ صوتية الأدب (١٩٥٩)
١٥ ــ المذهب الرمزى في الأدب (١٩٥٤)

رابعاً : مقال واحد في تقويم التراث اللغوى العربى .

١٦ ــ التراث اللغوى العربى ــ نظرة نقدية (١٩٨١)

فالمقالات التى تحمل ارقام ٤ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ كتبت قبل عام ١٩٦٠ . تلك فترة اسميها مرحلة ما قبل التأطير اذ لم أكن حتى ذلك العام قد وصلت الى الاطار الفكرى الذى اودعته كتاب اللغة العربية ــ معناها ومبناها . بل إن هذه الفترة قد امتدت الى ما بعد ذلك ، لأنى انتدبت في عام ١٩٦١ مستشارا ثقافيا في سفارة الجمهورية العربية المتحدة بلاجوس عاصمة نيجيريا فظللت في هذا المنصب منقطع الصلة تقريبا بالتفكير الأكاديمى حتى مطلع عام ١٩٦٥ وهكذا تطول فترة ما قبل التأطير فلا تنتهى الا بعودتى الى كلية دار العلوم في العام المذكور إذ بدأت فترة جديدة كانت ارهاصا للهيكل البنيوى الذى اشتمل عليه الكتاب . وتمثل الارهاص فى صورة بحثين كان عنوان اولهما «منهج النحاة العرب» وكان الثانى «أمن اللبس ووسائل الوصول اليه» .

وظلت أفكار البحثين تغريني بفضل نظر فيها حتى عملت استاذا ورئيسا لقسم الدراسات اللغوية في كلية الآداب جامعة الخرطوم ، وكلفت إيجاد موضوع يدرسه الطلاب فوقع إختيارى على مضمون هذين البحثين ومازلت أقلب الفكر فيهما حتى وصلت في النهاية الى محتويات كتاب اللغة العربية معناها ومبناها ، وهى في رأيى (ولا أزكى نفسى) إطار وبنية متكاملة لم يقع مثلها في بابها من قبل .

أما ما عدا ذلك من المقالات (وهى التى كتبت بعد ظهور الكتاب المذكور) فتقع في طائفتين : الأولى تتمثل في الثلاث الأول والفضل في التفكير في موضوعاتها يعود الى عملى بمعهد اللغة العربية في أم القرى في الفترة من ١٩٨٠ الى اليوم . ذلك بأن اهتمامى لم يتصل قبل هذه الفترة بالجانب التطبيقى (التعليمى) من علم اللغة ، وانما انصبّ في جملته وتفصيله على النظر والتنظير وأما الطائفة الثانية فهى مقالات تحمل تفسيرا أو اجتهاداً أو أمرا آخر يتصل بما ذكرته من نظر أو تنظير . بعض هذه المقالات كان مشاركة في ندوات وبعضها في مؤتمرات وهناك بعض ثالث حديث لم يسلك طريقاً الى النشر ، ويصدق ذلك بصفة خاصة على المقال الخامس « ضوابط التوارد » اذ كتب منذ البداية ليحتل مكانه في هذا الكتاب الذى بين ايدينا وليشتمل هذا الكتاب على احدث افكار صاحبه ، بل ليشتمل بما حواه هذا المقال على مناقشة فكرة لصاحبه سابقة

وردت في كتاب اللغة العربية معناها ومبناها ، وهى كفاية المعنى الوظيفى للاعراب دون حاجة إلى غيره من أنواع المعانى ومن ثم على اقتراح تعديل عبارة النحاة إلى «الاعراب فرع المعنى الوظيفى» فجاء هذا المقال ليكون دفاعا عن ضرورة الاعتماد على المعنى المعجمى في كثير من صور الاعراب . بل ان المعنى السياق إيضا يصبح في بعض الاحوال فيصلا في معرفة الباب النحوى الذى تعبر عنه احدى الكلمات في السياق .

لقد تساءلت عند العزم على جمع هذه المقالات في كتاب هل يحق لى أن أعود بالقراءة الى هذه المقالات التى مضى عليها وقت طويل لأعرض افكارها على آرائى الحاضرة مما يتصل بمواضيعها فأعمل عند الحاجة على تعديل بعض هذه الأفكار ، فوجدت أن هذا نوع من التزوير لايليق بالأمانة العلمية ولأننى لو فعلت ذلك لكنت كمن يبدى للقارىء رأيين متعارضين في شخصى .

الأول : « لقد كنت في بداية عملى ناضج التفكير بدرجة نضجى في الوقت الحاضر » .

الثانى : « إن تفكيرى لم يتقدم خطوة منذ الخمسينيات إلى اليوم » .

وكلا القولين غير صحيح وان كان احدهما يطرى شبابى والآخر يثلب حياتى الفكرية اللاحقة للمقالات ويتهمنى بالركود وعدم القدرة على الابتكار . وهكذا قررت ان أترك المقالات القديمة على حالها وان اضع نفسى في العراء أمام القارىء وأن اتحمل تبعة ذلك واتقبل رأيه فيما يقرأ .

أما ما ذكرته من تعديل رأيى في قول النحاة « الاعراب فرع المعنى » فإن القياس مع الفارق لان التعديل لم يأت في كتاب اللغة العربية وإنما جاء في هذا الكتاب تعقيبا على ذاك بعد أن نشر كتاب اللغة العربية وذاع أمره وتقبله القراء . أما المقالات المذكورة فلم يذع امرها بين الناس حتى ما نشر منها ، لأننا درجنا في حياتنا العلمية على أن نعطى الكتاب من الاحترام اضعاف ما نعطيه للمجلة وإن كانت علمية . وليس ذلك انتقاصا من قيمة هذه المقالات القديمة لأن كل واحدة من هذه المقالات تتناول موضوعات غير مطروقة مثل توزيع مسائل باب الاستثناء على أبواب نحوية اخرى ، والكلام في طبيعة السليقة اللغوية والقول بإنها مران ، وابتكار مصطلح الخليقة ليقابل السليقة ويدل على الطبع ، والكلام في تشقيق المعنى إلى أنواع مختلفة ، ثم الكلام في مدى حرية الأديب في الابتكار في اللغة ، ثم الكلام في الطابع الصوتى للأدب العربى . وهكذا يرى القارىء الكريم أن لدى كل واحد من هذه البحوث رسالة يريد أن يبلغها الى القارىء في موضوع

لم يألف الناس القول فيه . فهذه المقالات القديمة من حيث موضوعاتها على الأقل لايمكن أن يقترن نشرها بالاعتذار عنها ، فلو كان الامر كذلك ما استحقت أن تعرض للنشر .

وبعد فهأنذا أتقدم للقارىء الكريم بموضوعات تختلف طابعا وزمنا فمثلها في كل من الأمرين مثل الوان الطيف فأما في الطابع فقد اختلفت من حيث النظر والتطبيق واختلفت من حيث اللغة والنحو وتقويم التراث والنقد اللغوى وأما زمنا فقد رأينا انها امتدت على مدى حياتى العملية منذ ١٩٥٢ الى وقتنا هذا . وإننى لأرجو مخلصا أن تضيف هذه المقالات شيئاً ذا بال الى ما تعوده الناس في حقل موضوعاتها .

هذا الكتاب جهد أتقدم به للنشر ضمن خطة وحدة البحوث في معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى . فلقد درجت هذه الهيئة الموقرة على نشر النافع من الأعمال في حقل اللغة العربية علما وتعليما وفي حقل طرق تدريس اللغة وصياغة مناهجها وأتمت في نطاق خطتها أعمالا تحتل مكاناً رفيعا لدى المشتغلين بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أذكر منها الكتاب الأساسى في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (٤ أجزاء) وكتبا اخرى يمكن قراءة عناوينها على غلاف هذا الكتاب الذى تصدره الوحدة كذلك و ....

وتبذل الوحدة في سبيل الوصول الى هذه النتائج الطيبة الكثير من الجهد والمال وتجند لها الأكفاء من منسوبى معهد اللغة العربية ومن غيرهم أحيانا . غير أن التقدير الذى تحظى به جهود المعهد من قبل المؤسسات والأفراد في قارات مختلفة في هذا العالم يجعل بذل الكثير من الجهد والمال أمرا هينا فمما يثلج الصدر ويجلب السعادة حقا أن تقرأ العديد من الرسائل يطلب أصحابها تزويدهم بمطبوعات المعهد التى ..... والتى ..... مما يغدقون عليها من كريم الصفات .

نسأل الله تعالى أن يبارك هذه الجهود المخلصة في سبيل خدمة لغة كتابه العزيز .

والله ولى التوفيق

مكة المكرمة — تمام حسان